مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العـدد: 01 (2023)، ص 626- 634

فلسفة الحب بين الوجدان العاطفي والغريزة الجنسية

Philosophy of Love between

د. أسماء بن الشيخ[1*]
جامعة زيان عاشور- الجلفة – الجزائر، asma.bencheikh@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/09 تاريخ القبول: 2023/02/08 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص: تعددت الاطروحات والمقاربات التي تعالج تلك العلاقة المركبة بين الحب والجنس الحب كوجدان عاطفي والجنس كغريزة ولمحاولة فهم هذا التركيب داخل هذه العلاقة ارتاينا ان نقارب موضوع "فلسفة الحب" في هذا المقال. حيث حددنا المفاهيم الاساسية ثم عرضنا وجهات نظر مختلفة وفق عناصر محددة اقتضتها منهجيتنا المعتمدة هنا. وقد ركزنا في ذلك على طبيعة الحب عند الفلاسفة حيث تطرقنا لاهم المحطات في ذلك مثل افلاطون والقديس اوغسطين وتوما الاكويني ومن المحدثين شوبنهاور وايريك فروم وغيرهم ثم تطرقنا الى مقاربة بين الحب والجنس حاولنا فيها حسم فهمنا لهذه العلاقة.

كلمات مفتاحية: فلسفة الحب، الحب، العاطفة، الجنس

Abstract: There are many theses and approaches that deal with the complex relationship between love and sex, love as an emotional feeling and sex as an instinct. In an attempt to understand this structure within this relationship, we decided to address the subject of "the philosophy of love" in this article. Where we have defined the basic concepts, then we have presented the different points of view according to the specific elements required by our methodology adopted here. because we have focused in this on the nature of love according to the philosophers, addressing the most important stations in this, such as Plato, Saint Augustine and Thomas Aquinas, and among the modernists Schopenhauer, Eric Fromm and d 'others, then we got into an approach between love and sex in which we tried to resolve our understanding of this relationship

Keywords: philosophy of love, love, Emotion, Sex.

*المؤلف المرسل : د. أسماء بن الشيخ

1. مقدمة:

اختلف المفكرون في إيجاد الدلالة الحقيقية لمفهوم الحب، فبإمكاننا أن نحس الحب أو أن نشعر به، كما يمكننا أن نتصوره أو أن نصفه كإحساس أو كظاهرة حيوية تنتاب الجسد فيزيولوجية كانت أم نفسية، بالإضافة إلى عدم الإلمام بكل تجلياته التي تحمل أبعادا أخلاقية يمكنها أن ترتقي بمعاملاتنا وتسمو بها اتجاه الآخر، أو ما يترتب عنها من أوامر اجتماعية تتجسد في القرابة والانتماء، دون أن ننسى بعده الروحي ودلالته الميتافيزيقية وما يطرحه من إشكالات والتي وإن بحث فيها الفلاسفة إلا أن أطروحاتهم تحمل دلالات متباينة قد تصل إلى التضاد فيما بينها. فهناك اختلاف قائم بالنسبة للعلاقة بين الحب والجنس فمنهم من يرى بأنها علاقة تلازم، ومنهم من يرى بأنها علاقة تطابق ومنهم من يقصي احد الطرفين على حساب الآخر ومنهم من يجعل من الجنس صورة من صور الحب. كل هذه المواقف التي تجعل من الباحثين والمهتمين بهذا الشأن في حيرة أمام الحقائق المختلفة التي قدمها الفلاسفة والعلماء، مازالت الى غاية الآن محل جدل. هذا ما جعلنا نحاول إلقاء الضوء على هذا الموضوع والجدل القديم الحديث.

ومن هنا نطرح في بحثنا الإشكال الآتي: هل يعتبر الجنس مرادفا للحب أم أنه مغاير عنه تماما أم أنه أحد صوره لا غير؟ بصيغة أخرى ما العلاقة التي تربط بين الحب والجنس؟

قبل معالجة هذا الاشكال يقتضي منا الجانب المنهجي تحديد الاطار المفاهيمي له والمتمثل في:

أ- الحب: Amour

الحب نقيض البغض، وهو الوداد، والمحبة، والميل الى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي الى انجذاب الإرادة إليه كمحبة العاشق لمعشوقه، والوالد لولده، والصديق لصديقه، والمواطن لوطنه، والعامل لمهنته. وقد يكون الحب ناشئا عن عامل غريزي، أو عامل كسبي، أو عامل انفعالي مصحوب بالإرادة، أو عامل إرادي مصحوب بالتصور. وهو على كل حال لا يخلو من التخيل. وأظهر أشكاله الحب الجنسي، وله درجات مختلفة، أولها الموافقة، ثم المؤانسة، ثم المودة، ثم الهوى، ثم الشغف، ثم التيّم، ثم الوله، ثم العشق. (صليبا، 1978، ص439، 440)

ب-العاطفة :Sentiment

العاطفة استعداد نفسي ينزع بصاحبه الى الشعور بانفعلات وجدانية خاصة، و القيام بسلوك معين حيال شيء، او شخص، او جماعة، او فكرة معينة. ففيها اذن انفعال، و تصور، و فعل، كالعواطف الدينية، او الخلقية، او الاجتماعية، فهي لا تخلو من تصور واضح او غامض مصحوب بفعل محدد او غير محدد. (صليبا، 1978، ص44)

ج-الجنس في علم النفس:

« جنس :أ- من حيث نوع الفرد ذكرا كان أم أنثى.

ب- العلاقة الفسيولوجية و الوجدانية الحميمة التي تربط بين الذكر و الأنثى.

ج- عملية النشاط الجنسي سواء أكان على المستوى الواقعي أم على المستوى المتخيل». (لجنة علم النفس و التربية بالمجمع، 2008، ص114)

الجنسي:

« في الفرنسية Sexuel ، بالانجليزية Sexual

الجنسي هو المتعلق بالجنس ، أي بالذكورة و الأنوثة، تقول : الأعضاء الجنسية والعلاقات الجنسية والمشكلات الجنسية، والتربية الجنسية. والجنس عند (فرويد) هو المتعلق باللذة الحادثة عن التّماس الجسماني كالطفل الذي يمس أصابعه، فهو يحس بلذة جنسية لا بلذة تناسلية. والعلم الذي يبحث في الظواهر الجنسية (Sexualité) يسمى بعلم الجنس (Sexologie)». (صليبا، 1978، ص417)

2- ماهية الحب:

من هنا كان الحب موضوعا يستقي منه الأدباء والشعراء والمبدعون لغتهم، لكن «ليس في استطاعة كل هذه اللغات (من شعرية، وأخلاقية، وبيولوجية، واجتماعية وتصوفية) تفسير ماهية الحب، وأنه لابد للفلسفة وحدها من أن تأخذ على عاتقها دراسة الحب بوصفه ظاهرة إنسانية متكاملة». (زكريا، (د.ت)، ص9)

بهذا سنبتعد عن دلالته اللغوية والتي تجعل منه نقيضا للبغض وتربطه بالود وكل ما يسر ويجلب البهجة للنفس سواء في جانبه المعنوي أو المادي، وكذا دون أن نحيله إلى التخيلات التي تبحث عن ما يروق للإنسان وما يجلب له الفرح و السرور سواء أكانت تمثيلية أو إبداعية، ف «قد يكون الحب ناشئا عن عامل غريزي، أو عامل كسبي، أو عامل انفعالي مصحوب بالإرادة، أو عامل إرادي مصحوب بالتصور، وهو على كل حال لا يخلو من التخيل. وأظهر أشكاله الحب الجنسي، وله درجات مختلفة، أولها الموافقة، ثم المؤانسة، ثم المودة، ثم الهوى، ثم الشغف، ثم التيم، ثم الوله، ثم العشق». (صليبا، 1978، 440)

من هنا كان الحب انفعالا عاطفيا بين شخصين يكون كلاهما بحاجة إلى الآخر وانعدام هذا الشرط يجعلنا نتحدث عما يسمى بالحب من طرف واحد، ونقول هنا عاطفي كي لا نخلط بينه وبين الجنس الذي يعد أحد أنماطه وقد يكون أحد صوره هذا من منطلق أنه يوجد حب بلا جنس كما يوجد جنس بدون حب، كما قد يكون الجنس لغة هذا الحب أو محصلته.

إذ أن دلالته الاصطلاحية نجدها عند أندريه لالاند الذي يعتبر الحب ميلا أو انجذابا لا يمكن حصره في الجانب المادي فقط - ولعله يقصد هنا بالجانب المادي حب الأشياء أو إشباع الغريزة الجنسية انتقائيا- بل تتجلى مظاهرها على سبيل المثال في العواطف الأبوية تجاه الأبناء، وكذا في الشعور الانتمائي للوطن وما ترتبط به الذات وتنزاح له من لهو أو فيما يظهرها في صورة جيدة أو ما تفضله من مهنة أو عمل، كما أنه قد يتجلى نفسيا في كل ما هو ضد للأنانية (حب الغير) ولا يفهم من ذلك أنه يقصي أناه وإنما ما تضفيه هذه الأخيرة من صور الخير تجاه ما يخالف ذاتها ويناسبها. (لالاند، ص55)

ولعل ما أراده "لالاند" بقوله هذا أن الحب يتولد عن انجذاب ورغبة تتفاوت درجاتها من مشاعر نبيلة خالصة كالأمومة مثلا أو ما يكنه الأب اتجاه أبنائه، أو الأبناء تجاه الوالدين من مشاعر، نجدها كذلك عند الإخوة فيما بينهم، ولا يعني ذلك ربطها بالقرابة التي تجسدها صله الدم ولا حتى النسب وإنما قد تتجاوزها إلى الولاء العفوي للوطن أو ما تحمله معاني الصداقة الحقيقية من مودة بالمحبوب. هذه الأخيرة التي ربطها أفلاطون «بالمحبوب الأسمى الذي تنبع منه كل صلة بين الناس، ألا وهو "الخير" الذي يجمع بينهم ويضم شملهم. فالصداقة – في رأيه- رابطة خلقية أو

علاقة روحية، تجمع بين المواطنين الأخيار في حب واحد، فتؤلف بين قلوبهم وتكون منهم مجتمعا سليما متماسكا». (زكريا، (د.ت)، ص166)

3- طبيعة الحُبّ عند الفلاسفة

الحب عند أفلاطون رغبة في الجمال تتسامى عن المادي تكون أعلى درجاتها الفلسفة ذاتها التي تعني حب الحكمة، بيد أن هناك من رأى أن الحب هو تعلق وارتباط جنسي على وجه الخصوص، وأن درجة الحب تشتد إذا ارتبطت بالدافع الجنسي كما عبر عنها "شوبنهاور"(1788-1860)" Arthur Schopenhauer. وهناك من رده إلى الكفاح من أجل القوة « الحرب، بمعناه العميق، البغض المميت للأجناس». ونقصد بذلك "فردريك نيتشه" -Friedrich Nietzsche (1900 1844، هذا دون أن نتجاهل منظور الفلسفة النسوية التي اعتبرت الحب كإيديولوجيا يستعملها الرجل مطيّة لإخضاع المرأة لسلطته. (تدهوندرتش، (د.ت)، ص269)

إن الحديث عن فلسفة الحب عند أفلاطون* يحيلنا مباشرة إلى محاورة المأدبة، والتي تتمحور حول الحب والجمال وفق نمط من جدل أو ديالكتيك يتماشى من النسق المعرفي لأفلاطون «بشرط أن نفهم من ((الجدل)) أنه عملية وصول مصحوبة دائما بعملية انتقال أو صعود: ألسنا نجد الحب الأفلاطوني ينتقل من حب الأجساد الجميلة إلى حب النفوس الجميلة، ثم من حب النفوس الجميلة إلى حب المعازف الجميلة حتى ينتهي في آخر المطاف إلى حب ((الخير الأسمى)) الذي لا شكل له ولا صورة؟.» (زكريا، (د.ت)، ص140)

ولا يمكننا هنا تجاهل القسمة الثنائية للحب عند أفلاطون، فهذا الأخير هو من جهة شوق واحتياج، ومن جهة أخرى رغبة ونزوع نحو امتلاك الشخص المحبوب الذي يتمثل عنده في الجمال المطلق. الجهة الأولى يدرجها في عالم الضلال والثانية في عالم المعقول، وبهذا يمكن أن نطلق على الحب الأفلاطوني لفظ الإيروس الذي تمركز حول الذات في مقابل لفظة إجابيه ذات الدلالة المسيحية المتمركزة حول الله، ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني "زمل" Simmel حينما كتب يقول:« إن الإيروس اليوناني هو إرادة امتلاك، حتى حين يستخدم الحب للإثارة إلى معنى أسمى، ألا وهو الرغبة في امتلاك الشخص المحبوب كموضوع للتعليم المثالي والتهذيب الأخلاقي

والتربية الثقافية. وهذا هو السبب أن الحب عند اليونان إنما هو حالة متوسطة بين الامتلاك وعدم الامتلاك». (زكريا، (د.ت)، ص11)

وبعيدا عن التصور الأرسطي الذي ربط الحب بالصداقة وبالتاريخ الطبيعي وأخذ منحى مغايرا لأستاذه، ركز فيه على الجانب الأخلاقي وهو التوجه ذاته الذي تبنته كل من المدرستين الأبيقورية والرواقية، فإنه في العصور الوسطى ظهر نمط آخر للحب ارتبط بالديانة المسيحية هو الحب الأخوي أو ما يصطلح عليه بالأجابيه، «ولسنا نريد أن نسترسل في شرح هذا المفهوم المسيحي للأجابيه، ولكن حسبنا أن نقول أن المبدأ الذي سيطر على الضمير المسيحي هو أن لا خلاص من حب Le salut de l'amour لا يأتي من قبل الإنسان، ما دام الإنسان بطبيعته شهوة ورغبة، وإنما يجيء الخلاص من السماء: مادام الله وحده هو الذي يستطيع أن يقلب الشهوة رأسا على عقب، وأن يسمح لنا بالعلو على كل رغبة» .(زكريا، (د.ت)، ص160)

وبين النزعة الصوفية التي نلمسها عند "أوغسطين" والاتجاه العقلاني الذي يمثله "توما الاكويني" Thomas d'aquin (1225-1274) في فهم الحب. تولد عن مفهوم الأجابيه أنواع جديدة للحب، الحب الإلهي، حب القريب، الحب الزوجي، وما يتولد عن الشهوة الإنسانية حسب "توما الاكويني"، حب طبيعي، حب حسي، حب عقلاني. «لكن النموذج الأسمى هو الحب العقلاني، الذي يثار بالشهوة العقلانية وينظم بواسطة العقل. وفي تفسيره لظاهرة الحب في مفاهيم المدرسة الكلامية العقلانية يلجأ توما الإكويني إلى مصطلحات مختلفة (مثل حب Amour، مودة Dilecto، شفقة Caritas، صداقة Amicica) لتوصيف أنواع الحب المختلفة ومظاهرها» . (فياتشيسلاف، 2010، ص91)

وإذا كان هذا ما يميز العصور الوسطى فإن أدبيات الحب في عصر النهضة أعادت إحياء الإيروس اليوناني خاصة في بعده الجمالي بشقيه الفني والإبداعي والشعري على وجه الخصوص الذي يسلتهم مضامينه من جمالية المرأة وتغزل بجسدها من جهة و المرتبط بالحب الأفلاطوني وتقديم شروحات مأدّبة حول هذا الأخير.

بيد أنه في العصر الحديث ظهر تصنيف جديد للحب أملته العقلانية الديكارتية بتركيزها على الانفعالات العاطفية، فإذا كان أبو الفلسفة الحديثة "رونيه ديكارت" رأى أن الحب «أنواع

بقدر مواضيعه، وهناك حب المال، وحب الخمر، وحب المرأة، وحب الأطفال وما شابهها. وباختصار، فكل شيء يمكن أن يولد الحب، ولا يمكن التمييز بين أنواعه، إلا بقوة الانفعال والتأثير الذي يحدثه. ومن وجهة النظر هذه، يمكن التمييز بين الأنواع الثلاثة التالية للحب وهي: التعلق، والصداقة، والتبجيل». (فياتشيسلاف، 2010، ص172)

فإن الفيلسوف الهولندي "سبينوزا" Spinoza Baruch (1632 -1677) وإن كان يربط الحب بالعاطفة المضادة للكراهية التي قد يتحول إليها، وما يصاحب ذلك التحول من غيرة، فإنه يرى أن الحب مثله مثل الكراهية ناجم عن معطى خارجي تترتب عنه لذة أو ألم، «غير أن شكل الحب الأسمى، عند سبينوزا، ليس الحب الجسدي، بل الحب العقلي، الذي يسميه "الحب العقلي لله"...، فبمعرفته لله أو لخالق جميع الأشياء، يشعر الإنسان نحو الله بالحب العقلي، الذي يحرر جسده من جميع الانفعالات».(فياتشيسلاف، 2010، ص173)

بخلاف الفيلسوف الانجليزي "توماس هوبز" Thomas Hobbes (1588-1679) الذي يتماشى طرحه مع الطرح اليوناني، لتبنيه للإيروس لا من منطلق حب شهواني، و لا من منطلق حب الخير، بل باعتباره تلبية لحاجاتنا العاطفية اتجاه الآخر، فإن الفيلسوف الألماني "ليبنتز" Gottfried Wilhem Leibniz (1646- 1716) يربط الحب بالبحث عن السعادة التي نحققها لذاتنا ولذات الآخر، والبعيد كل البعد عن الأنانية والمصلحة الخاصة، أي أنه يدعو إلى حب يتحلى بالنزاهة والنقاء يتجلى فيه الرضى المتبادل ونتخلى فيه عن المطامح الشخصية المرتبطة بالحاجة. (فياتشيسلاف، 2010، ص176)

هذه المعادلة للحب التي يضعها ليبنتز هي التي يرى كل من "كانط" و"هيجل" أنها لا تحل إلا في إطار الزواج، فبالرغم من أن الأول كما هو معروف مات أعزبا، وبالرغم من أنه يرى أن الحب عاطفة نزيهة من جهة، وأنه مرتبط بعاطفة الإشباع واللذة (الحب الجنسي) من جهة أخرى، فإن فيلسوف الواجب الأخلاقي يرى أنه لا يمكن إزالة هذا التناقض إلا بواسطة عقد اجتماعي يتمثل في الزواج، وهذا الحل هو الذي يذهب إليه "هيجل" من منطلق أن الحب يجد أساسه الأخلاقي في

الزواج، مع العلم أن "هيجل" يرفض ما يتبع هذا العقد أي الزواج من طقوس يفرضها الالتزام الاجتماعي. (فياتشيسلاف، 2010، ص 194، 196)

وبعيدا عن عقلانية الحب إلى لا عقلانيته والتي لا نجد أفضل من "آثر شوبنهاور" كنموذج لها، خاصة حينما نعلم أن فلسفته في الحب ترتبط بمواساتنا للآخر ومشاركتنا لآلامه، لأن الحب عنده يرتبط بالشفقة التي يعتبرها الكفيلة بتخليص الإنسان من أنانيته فنحن لا نجد سعادتنا في سعادة الآخر كما رأى ليبنتز، الذي دعا إلى دمج خير الآخرين بخيرنا الشخصي، لأن اللذة تحمل طابعا فرديا، ولذة الآخر قد تجلب لنا ما يناقض الحب اتجاهه، فحسب تصور "شوبنهاور" نحن «لا نحب الآخرين إلا بقدر ما نراهم يتألمون، وبالتالي بقدر ما نتعاطف معهم ونحن عليهم، تحت تأثير تلك الآلام نفسها. ومعنى هذا أن للحب طابعا للشفقة و الرحمة و الإحسان بدليل أن ما يولده أو يستثيره إنما هو "الألم" الذي يعانيه الآخرون... فالمشاركة المباشرة في آلام الآخرين هي الأصل في كل "محبة"».(زكريا، (د.ت)، ص52)

4- بين الحب والجنس:

ويذهب "شوبنهاور" إلى أكثر من ذلك حينما يرفض تقديس الحب ويعتبره مجرد وهم تختبئ من ورائه الغريزة الجنسية، فهو بالأساس يعبر عن رغبة جنسية بيولوجية محضة، ولعل هذا ما أقرته مدرسة التحليل النفسي بزعامة "سجموند فرويد" Sigmund Freud (1856-1939) بتبنيها لنظرية الجنس بدلا عن الإيروس ذي الدلالة الأفلاطونية أو الأجابيه ذي الدلالة المسيحية والذي ارتبطت بهما الفلسفة طوال تاريخها في نظرتها للحب، مبتعدة في ذلك عن التفسيرات السابقة لها بها فيها الأطروحات المناهضة* للحب الأفلاطوني أو الحب المسيحي أو ما دعت إليه عقلانية العصر الحديث بدءا من "ديكارت" وصولا إلى "كانط" و"هيجل".

إن رائد مدرسة التحليل النفسي سيجموند فرويد يعتبر أن حقيقة الحب تكمن في الحب الجنسي، فإذا كان الإنسان يبحث في الحب عن السعادة فإن هذه الأخيرة بحسب فرويد مرتبطة بحالة لا شعورية هدفها غير المعلن إشباع الرغبة الجنسية، وبهذا فالحب عنده ظاهرة لا عقلانية، فعقلنته محاولة عديمة الجدوى، إذ يعتبر أن الحب «هو نتيجة الجاذبية الجنسية أو بالأحرى أنه نفس الإشباع الجنسي منعكس في الشعور المدرك ... ومن هنا شرح فرويد الحب

والكراهية والطموح والغيرة على أنها نتائج الأشكال المختلفة للغريزة الجنسية». (فروم، 2000، ص82، 83)

من هنا أصبح الجنس مرادفا لمفهوم الحب ويحتوي كل معانيه بما فيها لغة المشاعر و العواطف، بل أكثر من ذلك كل أنماط الحب وأشكاله السابقة ذكرناها في استقرائنا لفلسفة الحب – بدءا من أفلاطون كالحب الروحي أو العذري كما يتراءى للبعض تسميته، أو الحب الأخوي كما عبرت عنه فلسفة القرون الوسطى، الفلسفة المسيحية على وجه التحديد، أو الحب الذاتي المرتبط بالأنانية، أو غير الذاتي كالشفقة والصداقة – رأى فيها فرويد وتلاميذه أنها ترتد إلى منشئها وطبيعتها الأولى المتمثلة في الجنس، مستندا في ذلك على «خبرة مفادها أن من الممكن اكتشاف نزوعات جنسية تفعل فعلها بصورة لا واعية فيما ندعو الحب النقي، وأن من الممكن أن نجد هذه المكابدات الجنسية التي كفت عن بلوغ هدفها حاضرة وفاعلة في حنان الآباء تجاه أبنائهم، والأبناء تجاه آبائهم، وفي الصداقة بين شخصين من الجنس ذاته». (ثيودور ، 1992، ص27)

لقد وجهت العديد من الانتقادات للنظرية الجنسية التي جاءت بها مدرسة التحليل النفسي، بسبب تركيزها على الجنس وإفراطها في تقديره، وكذا مطابقتها لمفهوم الحب مع الجنس، متجاهلة في ذلك أن هذا الأخير ما هو إلا تجل من تجليات الحاجة إلى الحب وميل كل طرف إلى الإتحاد مع الآخر، ولم تدرك أن للحب معنى أوسع و أكبر يجعله فوق كل رغبة، انه التزام الذات الفاعلة برغبتها على حد قول "آلان تورين" Alain Touraine في "نقد الحداثة" وقهر للانفصال الإنساني على حد قول "ايريك فروم" Erich Fromm (1900-1980) في "فن الحب"، «لقد تصورنا الحب طويلا كإله يرمي سهما يخترق القلوب، حينما تلاشت هذه الفكرة مع كل أشكال التصور السحري للعالم، فقد طابقنا الحب مع الرغبة. لم يعد يقع علينا من فوق، إنه يصدر عن الجزء الأكثر غموضا فينا، غريزة أكثر من عاطفة انفعال...ولكن ليس كل شيء رغبة، و ألم البعد أو الفقد لا يختزل في الحرمان من اللذة ، فالحب لا يحضر فقط في بداية العلاقة، بل يدشنها بنفس المقدار الذي يخلق فيه بسببها...لأنه لا يختزل لا في الشعور ولا في الرغبة، لا في "السيكولوجيا" ولا في الهوى». (تورين، 2010، ص286)

فإذا كان الجنس مرتبطا بالجسد وهو مطلب بيولوجي والحب مرتبط بالروح وهو مطلب نفسي، فإن العلاقة التي تربط بينهما هي علاقة التزام، من منطلق أنه لا تكون هناك علاقة جنسية مرضية للطرفين وبشكل تام إلا عن طريق الحب المتبادل، فيتحقق الإشباع في شكليه المادي والروحي.

من خلال دراستنا لفلسفة الحب وإبراز أنماطه وأشكاله والإلمام بجميع التفسيرات الممكنة له، اتضح لنا «"أن في الحب شيء من كل شيء: ففيه (كما تقول مدام لا فايت Mme. La Fayette) شيء من العقل، وفيه شيء من القلب، وفيه شيء من الجسد". وإذن فإن الحب الحقيقي هو أشبه ما يكون بالانسجام الرقيق بين الحاجات الحيوية والعواطف الوجدانية، أو هو ضرب من التوافق الخفي بين مطالب الجسم أو "الحيوانية"، وبين نوازع الروح أو "الحرية"».(زكريا، (د.ت)، ص260)

هذا عن ماهية الحب وفلسفته، أما عن تأثيراته على السلوك الإنساني والطابع الغريزي لهذا الأخير المتمثل في البعد الجنسي على وجه التحديد فإن هناك من نفى بوجه عام أن يكون له أي أثر إيجابي من شأنه أن يغير أو يعدل من طبائع المحب أو المحبوب أمثال "ماكس شلر" Max Scheler (1874-1928) أو من ذهب إلى أكثر من ذلك ونقصد بالذكر "ابن حزم" (994-1064) ، الذي يرى أنه ليس ثمة آفة أعظم من الحب، إذ يقول في "طوق الحمامة":«إن للحب حكما على النفوس ماضيا، وسلطانا قاضيا، وأمرا لا يخالف، وحدا لا يعصى، وملكا لا يتعدى، وطاعة لا تصرف، ونفاذا لا يرد، وأنه ينقص المرر، ويحل المبرم، ويحلل الجامد، ويخل الثابت، ويحل الشغاف، ويحل الممنوع». (ابن حزم، (د.ت)، 36)

وتكمن سلبية الحب عنده في أنه يعمي البصيرة، فيجعلنا حسبه مسلوبي الإرادة نستحسن القبيح وننحرف عن جادة الصواب إلى الرداءة والفساد والاعوجاج، بيد أن هناك من رأى أن الحب نشاط إيجابي من شأنه أن يغير نفوس أولئك الذين يحبون، فالحب المتبادل بين طرفين يتيح إعادة إمكانية ولادتهما من جديد.

إن الحب هو الكفيل بتهذيب الجنس وإعطائه بعدا إنسانيا لا حيوانيا، إذ أنه قبل كل شيء رعاية واهتمام تتلازمان مع جانب آخر هو المسؤولية. وأن نعتني بالآخر معناه لابد من معرفة ننفذ

بها إليه، فنعرفه أولا و نعترف به ثانيا. من هنا فالحب ليس فقط تلقٍّ وإشباع للغريزة الجنسية ذات الطابع المادي، وإنما هو كذلك عطاء روحي نلج به الآخر فنندمج ونتحد معه. وانعدام الحب أو وجوده بصورة شكلية (كأن يكون مجرد وسيلة نستغل من خلالها الآخر من أجل إشباع رغباتنا الجنسية دون الشعور به حقيقة، أو أن يكون غطاء لنزعة انتقامية شعورية أو لا شعورية أنجزت عن تجربة فاشلة) من شأنه أن يؤدي إلى انحرافات أو حالات شاذة جنسية، فعلى سبيل المثال:«الانحراف في الجنسية المثلية هو فشل لاجتياز هذه الوحدة المستقطبة، ومن ثمة يعاني المصاب بالجنسية المثلية من ألم الانفصال الذي لا يحل إطلاقا، وهو فشل يشترك فيه – على أية حال – مع الشخص المتوسط الذي يشتهي الجنس الآخر ولا يستطيع أن يحب». (فروم، 2000، ص38)

5- خاتمة :

إن فلسفة الحب تظهر لنا أن هناك تداخل بين الحب والجنس و أن الفيلسوف هو من يمكنه أن يعالج مشكلة الحب وعلاقته الديالكتية (الجدلية) مع الجنس. التي تنوعت بين من يؤكد على أن الحب مطابق للجنس مثل ماذهب اليه سجموند فرويد أو أن الجنس هو إحدى صور الحب الذي يلقى مشروعيته في مؤسسة الزواج، أو قد يكون الجنس أحد صوره المنحرفة التي تؤسس لعلاقات غير سوية.

بيد أننا نرجع هنا ونشبير الى رأي ابن حزم الأندلسي الذي أكد على أهمية الجانب الخلقي في الحب وجعله مفتاح السعادة للمحب والمحبوب، فكلما زاد تمسكهم بالقيم الخلقية كلما زادت سعادتهم، لأن المضمون القيمي هو ما يميز الحب أساسا عن السلوك الجنسي للبهائم.

6– المراجع:

- ابن حزم الأندلسي. (د.ت). *طوق الحمامة*. تحقيق، سعد كريم الفقي أبو المنذر. الإسكندرية: دار ابن خلدون.

- آلان تورين. (2010). *نقد الحداثة*.ترجمة. عبد السلام الطويل، محمد سبيلا. المغرب: دار إفريقيا الشرق.

- أندري لالاند.(2002). *موسوعة لالاند الفلسفية*. ترجمة. خليل أحمد خليل.(ط2). بيروت ـ باريس: منشورات عويدات.

- اريك فروم. (2000). *فن الحب، بحث في طبيعة الحب وأشكاله*. ترجمة، عبد المنعم مجاهد مجاهد ، بيروت، لبنان: دار العودة.

- جميل صليبا. (1978). *المعجم الفلسفي* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

- زكريا ابراهيم. (بلا تاريخ). *مشكلات فلسفية معاصرة ـ مشكلة الحب* (ط 3). القاهرة، مصر: مكتبة مصر.

- لجنة علم النفس و التربية بالمجمع. (2008). *معجم علم النفس و التربية* (ط1، ج 2). القاهرة، مصر: مجمع اللغة العربية.

- رايك ثيودور . (1992). *الدافع الجنسي*. ترجمة. ديب ثائر. سورية: دار الحوار.

- شستاكوف فياتشيسلاف. (2010). *الإيروس والثقافة، فلسفة الحب والفن الأوروبي* (ط1). ترجمة. عيون السود نزار ، سوريا: دار المدى.

- تدهوندرتش. (د.ت). *دليل أكسفورد للفلسفة* (ج1). ترجمة، نجيب حصادي.ليبيا: المكتب الوطني للبحث والتطوير.